Journal of Insights in Basic and Applied Sciences
مجلة رؤى في العلوم الأساسية والتطبيقية
Volume 2, Issue 1, 2026, Pages: 287-302
Journal homepage: https://jibas.com.ly/index.php/jibas/en

Contemporary Plastic Arts Between Artistic Thought and Aesthetic Transformations

Elbatul Yousef Hammad [1 *], Samiah Al-Habib Omar Said [2], Rabeaa Abubaker Mohamed Abudbous [3]
[1] PhD Student, Department of Plastic Arts, Libyan Academy of Graduate Studies, Tripoli, Libya
[2] Department of Architectural Techniques, Higher Institute of Science and Technology Al-Shamookh - Tripoli, Tripoli, Libya
[3] Department of Interior Design, Tripoli College of Science and Technology for Girls - Tripoli, Tripoli, Libya

الفنون التشكيلية المعاصرة بين الفكر الفني والتحولات الجمالية

أ.الباتول يوسف حماد [1*]، سامية الحبيب عمر سعيد [2]، ربيعة ابو بكر محمد ابو دبوس [3]
[1] طالبة دكتوراة قسم الفنون التشكيلية، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، مدينة طرابلس، ليبيا
[2] قسم التقنيات المعمارية، المعهد العالي للعلوم والتقنية الشموخ- طرابلس، طرابلس، ليبيا
[3] قسم التصميم الداخلي، كلية طرابلس للعلوم والتقنية للبنات- طرابلس، طرابلس، ليبيا

[*]Corresponding author: Shmsadynhalh@gmail.com

Received: January 14, 2026	Accepted: February 25, 2026	Published: March 09, 2026

Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This research examines contemporary visual arts as a visual discourse that Reflects transformations in aesthetic, cultural, and philosophical thought under modern social and technological changes. It aims to clarify the fundamental differences between modern art and contemporary art, highlighting the characteristics of the contemporary phase, such as the diversity of media, the liberation of form, and the dominance of concept over the formal structure of the artwork the study also discusses the philosophical and aesthetic roots of contemporary art and the role modernism and postmodernism in shaping the relation ship between form and content furthermore it addresses the transformation of the artwork from a purely aesthetic visual product into an open intellectual and symbolic structure subject to interpretation. The research emphasizes the importance of visual discourse and symbolism is contemporary artistic expression, as well as the role of the viewer in completing the aesthetic meaning , making the art work an interactive space that reflects the concerns and existential and cultural issues of contemporary humanity.

Keywords: Contemporary Visual Art, Visual Discourse Concept, Symbolism, Modernism and Postmodernism, Reception and Interpretation.

الملخص
يتناول هذا البحث مفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة بوصفها خطاباً بصرياً يعكس تحولات الفكر الجمالي والثقافي في ظل المتغيرات الاجتماعية والتقنية والفلسفية الحديثة. ويسعى إلى توضيح الفروق الجوهرية بين الفن الحديث والفن المعاصر مع إبراز خصائص المرحلة المعاصرة من حيث تعدد الوسائط، وتحرر الشكل، وهيمنة الفكرة على البنية التشكيلية للعمل الفني، كما يناقش البحث الجذور الفلسفية والجمالية للفن المعاصر، ودور الحداثة وما بعد الحداثة في إعادة صياغة مفاهيم الشكل

والمضمون، وتحول العمل الفني من كونه نتاجاً بصرياً جمالياً إلى كونه بنية فكرية ودلالية مفتوحة على التأويل، ويؤكد البحث على أهمية الخطاب البصري والرمز في التعبير التشكيلي المعاصر، ودور المتلقي في إكمال المعنى الجمالي، مما يجعل العمل الفني فضاء تفاعلياً يعكس قضايا الإنسان المعاصر وإشكالية الوجودية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الفن التشكيلي المعاصر، الخطاب البصري، الفكرة، الرمز، الحداثة وما بعد الحداثة، التلقي والتأويل.

المقدمة

يشهد الفن التشكيلي المعاصر تحولات جذرية على مستوى المفهوم والوظيفة، واللغة البصرية، نتيجة التغيرات الفكرية والفلسفية والاجتماعية التي رافقت تطور المجتمعات الإنسانية في العصر الحديث، ولم يعد الفن يقاس بمعايير الشكل الجمالي التقليدي أو المهارة التقنية فحسب، بل أصبح مجالاً مفتوحاً للتجريب والتفكير، وطرح الأسئلة الوجودية والمعرفية، حيث تحولت الفكرة إلى محور أساسي في بناء العمل الفني، وتراجع التركيز على الشكل بوصفه غاية نهائية لصالح المضمون والخطاب البصري.

وفي هذا السياق يبرز مفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة بوصفه نتاجاً لتجاوز حدود الفن الحديث واختراق الأطر الكلاسيكية التي ميزته، حيث انتقل الفن من التمثيل والتعبير الذاتي إلى فضاء أوسع يتقاطع فيه الفلسفي بالجمالي، والتقني بالاجتماعي، والذاتي بالكوني، وقد أسهمت كل من الحداثة وما بعد الحداثة في إعادة صياغة التنظير الفني، وإحداث تحولات عميقة في مفهوم الشكل والمضمون، وأساليب التعبير، وأنماط التلقي. كما لعبت التقنية والوسائط الحديثة دور محورياً في إعادة تعريف العمل الفني من خلال إدخال وسائط رقمية، وتركيبية وأدائية مما أسهم في توسيع مفهوم الفن وتعدد تصنيفاته، وخلق إشكاليات جديدة تتعلق بالمعايير الجمالية، وحدود الفن، وطبيعة العلاقة بين العمل الفني والمتلقي، وأصبح المتلقي عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى، لا مجرد متلق سلبي مما فتح المجال أمام إشكاليات التلقي والتأويل، وتعدد الدلالات في التعبير الشكلي المعاصر (الزواوي، 2018).

وانطلاقاً من ذلك تتناول الدراسة الأبعاد النظرية لمفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة، وجذورها الفلسفية، وتحولاتها الجمالية، مع التركيز على دور الفكرة والخطاب البصري وإشكاليات المفهوم والتصنيف والمعايير الجمالية، والعلاقة التفاعلية بين المتلقي والعمل الفني في ظل التحولات المعاصرة.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في الغموض المفاهيمي والتعدد الاصطلاحي الذي يحيط بمفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة، وما نتج عنه من إشكاليات في التصنيف، وتحديد المعايير الجمالية، وفهم طبيعة التحول في مفهوم الشكل والمضمون، إضافة إلى تعقيد العلاقة بين العمل الفني والمتلقي، وتعدد قراءات التأويل في ظل هيمنة الفكرة والوسائط الحديثة.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في:

1- إبراز التحولات الفلسفية والجمالية التي أسهمت في تشكيل الفن المعاصر.
2- الإسهام في توضيح المفاهيم النظرية المرتبطة بالفنون التشكيلية المعاصرة.
3- توضيح دور الحداثة وما بعد الحداثة في التنظير الفني.
4- تحليل إشكاليات التلقي والتأويل والمعايير الجمالية في الفن المعاصر.
5- دعم الدراسات الأكاديمية في مجال النقد والتنظير الفني.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1- تحديد مفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة وخصائص النظرية.
2- توضيح الفرق بين الفن الحديث والفن المعاصر.
3- تحليل الجذور الفلسفية والأسس الجمالية للفن المعاصر.
4- الكشف عن دور الفكرة والخطاب البصري في العمل الفني المعاصر.
5- دراسة العلاقة بين المتلقي والعمل الفني في منظور نظري.
6- رصد أثر التقنية والوسائط الحديثة في تطور الممارسات الفنية المعاصرة.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل المفاهيم والنصوص النظرية والنقدية المتعلقة بالفنون التشكيلية المعاصرة مع الاستعانة بالمنهج التأويلي في تفسير الخطاب البصري والدلالات الشكلية في الفن المعاصر.

فروض البحث

ينطلق البحث من الفروض الآتية:

1- إن الفن التشكيلي المعاصر يقوم على الفكرة بوصفها عنصراً بنائياً أساسياً.
2- إن التحولات الفلسفية للحداثة وما بعد الحداثة أسهمت في إعادة تعريف الشكل والمضمون.
3- إن تعدد الوسائط والتقنيات أدى إلى تعقيد المعايير الجمالية التقليدية.
4- إن المتلقي أصبح شريكاً في إنتاج المعنى داخل العمل الفني المعاصر.

مصطلحات البحث

1- **الفن التشكيلي:** هو مجال فني يعتمد على تشكيل العناصر البصرية مثل الخط واللون والكتلة والفراغ للتعبير عن الأفكار والمشاعر (هربرت ريد Herbert Read).
2- **الفن الحديث:** فن ارتبط بالتحرر من القواعد الأكاديمية والتركيز على الشكل والذاتية والتجريب (كليمنت غرينبرغ Clement Greenberg).
3- **الفن المعاصر:** هو فن يقوم على الفكرة والسياق الثقافي والاجتماعي أكثر من اعتماده على القيم الشكلية التقليدية (أرثر دانتو Arthur Danto).
4- **الفن المفاهيمي:** اتجاه فني تصبح فيه الفكرة هي جوهر العمل الفني بغض النظر على شكله المادي (جوزيف كوسوث Joseph Kosuth).
5- **التحول من الشكل إلى الفكرة:** انتقال مركز الاهتمام في العمل الفني من الجماليات البصرية إلى المعنى والمفهوم (سول لويت Sol Lewitt).
6- **الخطاب البصري:** منظومة من الرموز والعلامات البصرية التي تحمل معاني قابلة للتأويل داخل العمل الفني (رولان بارت Roland Barthes).
7- **السيميولوجيا (علم العلامات):** السيميولوجيا وهو علم يدرس العلامات والرموز وأنظمتها، وكيف تنتج المعاني وتنقل داخل الثقافة والمجتمع، تهتم بتحليل العلاقة بين الدال (الشكل أو الرمز) والمدلول (المعنى)، وتستخدم في تحليل الخطاب البصري، والأعمال الفنية، واللغة، والصورة باعتبار العمل الفني نظاماً دلالياً يحمل معاني ظاهرة وأخرى ضمنية.
8- **البنيوية:** هي اتجاه فكري ونقدي يقوم على دراسة الظواهر الثقافية والفنية بوصفها أنظمة مترابطة، لا يمكن فهم عناصرها منفردة بل من خلال العلاقات التي تجمع بينها في الفن. تركز البنيوية على بنية

العمل الفني، أي تنظيم العناصر الشكلية والرمزية، وكيف يسهم هذا التنظيم في إنتاج المعنى بعيداً عن ذاتية الفنان أو السياق الخارجي المباشر.

9- **المعايير الجمالية:** هي مجموعة من القيم والمقاييس التي يقاس من خلالها جمال العمل الفني وتقيم تجربته البصرية، مثل: التواز، والانسجام، والإيقاع، والوحدة، والتعبير، والدلالة، وفي الفن المعاصر لم تعد هذه المعايير ثابتة بل أصبحت مرنة ومفتوحة، ترتبط بالفكرة، والسياق، والتلقي، وليس بالشكل الجمالي التقليدي فقط.

مفهوم الفنون التشكيلية المعاصر

تُعد الفنون التشكيلية المعاصرة أحد أهم مجالات التعبير الفني في العصر الحديث، إذ تمثل مرحلة متقدمة من تطور الفنون التشكيلية، ارتبطت بتحولات فكرية وثقافية وجمالية عميقة شهدها العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ولا يقتصر مفهوم الفنون التشكيلية المعاصرة على البعد الزمني فحسب، بل يتجاوز ذلك ليشمل طبيعة الرؤية الفنية، وأساليب التفكير والمرجعيات الفكرية التي يقوم عليها العمل الفني.

وينظر إلى الفنون التشكيلية المعاصرة بوصفها خطاباً بصرياً مفتوحاً، ويعتمد على الفكرة والمفهوم بوصفها عنصرين أساسيين في بناء العمل الفني، متجاوزاً بذلك المعايير الجمالية التقليدية التي كانت تركز على المهارة التقنية والشكل الخارجي، وقد أسهم هذا التحول في إعادة تعريف وظيفة الفن ليصبح وسيلة للتأمل الفكري والتفاعل الثقافي، وليس مجرد إنتاج جمالي.

كما تتسم الفنون التشكيلية المعاصرة بالتعدد والتنوع، حيث لا تخضع لاتجاه فني واحد أو أسلوب محدد، بل تستوعب رؤى وأساليب متعددة تعكس خصوصية السياقات الثقافية والاجتماعية والفكرية التي نشأت فيها، ويؤكد هذا التعدد على طبيعة الفن المعاصر بوصفه مجالاً ديناميكياً قابلاً للتغير والتجدد المستمر. وعليه يمكن تعريف الفنون التشكيلية المعاصرة بأنها منظومة فكرية وجمالية تعبر عن تحولات الإنسان المعاصر ورؤيته للعالم. وتعكس تفاعل الفن مع قضايا الفكر والثقافة في إطار مفتوح على التجريب وإعادة صياغة المفاهيم الفنية والجمالية.

تحولات المفهوم وإشكالية التصنيف بين الحديث والمعاصر

تمثل العلاقة بين الفن الحديث والفن المعاصر إشكالية معرفية تتجاوز حدود التاريخ إلى عمق البنية المفهومية ذاتها، فالفن الحديث ارتبط بمشروع الحداثة بوصفه وعياً نقدياً يسعى إلى إعادة تأسيس اللغة التشكيلية على أسس استقلالية حيث أعيد تعريف العمل الفني باعتباره بنية شكلية مكتفية بذاتها، تقوم على تعريف العمل الفني باعتباره بنية شكلية مكتفية بذاتها، تقوم على التجريب، والتحليل البنائي للعناصر، وتحرير الرؤية من سلطة المحاكاة والمرجعية المباشرة. لقد كان الهم المركزي في هذا السياق هو تأسيس شرعية جمالية جديدة، تنبع من داخل العمل ذاته، في المقابل، لا يفهم الفن المعاصر باعتباره امتداداً زمنياً فحسب، بل بوصفه تحولاً ايستمولوجياً في فهم ماهية الفن ووظيفته، إذ لم يعد العمل الفني كياناً مغلقاً على بنيته الشكلية، بل غدا فضاء مفتوحاً لإنتاج المعنى، تتداخل فيه الفكرة مع السياق، ويتحول فيه الشكل على وسيط ضمن شبكة دلالية أوسع، وبهذا المعنى أصبح الفن ممارسة خطابية تتقاطع مع الفلسفة والنقد الثقافي، وتتجاوز حدود الوسيط التقليدي نحو تعددية وسائطية تؤكد مركزية المفهوم على حساب الاكتمال الشكلي.

وتتعمق إشكالية التصنيف نتيجة هذا التحول، إذ يغدو الفصل بين الحديث والمعاصر إجراء نظرياً أكثر منه حداً فاصلاً، فثمة استمرارية في الأسئلة الجمالية يقابلها انزياح في منطق الاشتغال الفني؛ من مركزية الشكل إلى مركزية السؤال، ومن البحث عن نقاء الوسيط إلى مساءلة شروط الإنتاج والتلقي. وعليه فإن الفرق بينهما يكمن في طبيعة الوعي الجمالي ذاته: وعي يؤسس للحداثة عبر بناء اللغة، وآخر يجيد مساءلة تلك اللغة ضمن أفق نقدي مفتوح.

وتعد مسألة التمييز بين الفن الحديث والفن المعاصر من أبرز الإشكالات النظرية في الدراسات الجمالية، نظراً لتداخل البعدين المفاهيمي والتصنيفي في تحديد كل منهما، فالفن الحديث يفهم بوصفه

مشروعاً ارتبط بفكرة الحداثة حيث سعى إلى تجاوز القوالب الأكاديمية، وتأكيد استقلالية العمل الفني، وترسيخ أولوية الشكل بوصفه بنية جمالية قائمة بذاتها. وقد انشغل هذا التوجه بإعادة تعريف الرؤية البصرية، والبحث في إمكانات اللون والخط والكتلة مع تأكيد حضور الذات المبدعة باعتبارها مركز العملية الفنية.

أما الفن المعاصر فيتجاوز التعريف الزمني ليفهم بوصفه تحولاً في طبيعة الممارسة الفنية ذاتها، إذ لم يعد العمل الفني يقاس بمعاييره الشكلية فقط، بل بقدرته على إنتاج المعنى وفتح أفق التأويل، فانتقل مركز الثقل من الاهتمام بالبناء الشكلي إلى مركزية الفكرة والسياق، وأصبح الفن مجالاً للتفكير النقدي والمساءلة الثقافية والاجتماعية.

وتبرز إشكالية التصنيف حيث يصعب وضع حدود فاصلة دقيقة بين الحديث والمعاصر، بسبب الاستمرارية الفكرية بينهما من جهة، وبسبب تداخل الأساليب والممارسات من جهة أخرى، كما إن اختلاف السياقات الثقافية يسهم في إعادة تعريف المفهومين بصورة نسبية، مما يجعل التصنيف إجراء نقدياً أكثر منه حقيقة تاريخية مطلقة.

ويؤرخ للفن الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر، مع بروز الحركات التي أعلنت القطيعة مع الأكاديمية الكلاسيكية، وامتد حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، حيث تمحور مشروعه حول تأسيس استقلالية العمل الفني بوصفه كياناً جمالياً قائماً بذاته فقد انشغل الفن الحديث بتحرير اللغة التشكيلية من سلطة المحاكاة، وأعاد بناءها على أساس تجريب العناصر البصرية من لون والخط والكتلة مؤكد أن قيمة العمل تكمن في بنيته الداخلية وعلاقته الشكلية، وفي هذا السياق، تكرست فكرة "نقاء الوسيط" والسعي إلى اكتشاف خصوصية كل فن، بحيث يصبح العمل الفني عالماً مكتفياً بذاته منفصلاً نسبياً عن الإحالات الخارجية المباشرة.

غير أن التحولات الفكرية والثقافية التي شهدها العالم بعد منتصف القرن العشرين، خاصة مع صعود تيارات ما بعد الحداثة منذ ستينياته، أدت إلى إعادة تعريف ماهية الفن جذرياً، فالفن المعاصر الذي تبلورت ملامحه منذ تلك المرحلة وما بعدها، لم يعد ينظر إلى العمل الفني بوصفه بنية شكلية مغلقة، بل باعتباره ممارسة فكرية وخطاباً مفتوحاً يتشكل داخل شبكة من العلاقات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهكذا انتقل مركز الثقل من استقلالية الشكل إلى مركزية الخطاب، ومن الاكتفاء الجمالي إلى مساءلة المعنى والسياق.

تحولات المفهوم بين السياق الغربي والسياق العربي

إذا كان التحول من استقلالية الشكل إلى مركزية الخطاب قد تبلور في السياق الغربي نتيجة تحولات فلسفية وثقافية عميقة رافقت نقد الحداثة وصعود ما بعد الحداثة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، فإن انتقال هذا التحول إلى السياق العربي لم يكن مساراً مطابقاً زمنياً أو مفاهيمياً.

ففي التجربة الغربية، جاء الفن المعاصر امتداد لمسار حداثي طويل، أعاد مساءلة ذاته من الداخل، فانتقل من هاجس نقاء الوسيط إلى تفكيك شروط إنتاج المعنى، ومن مركزية الفنان إلى تعددية القراءات والسياقات.

أما في السياق العربي، فقد تداخلت الحداثة والمعاصرة في مسار واحد تقريباً، نتيجة خصوصية التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية، إذ انشغلت التجارب الفنية العربية أولاً بتأسيس هوية بصرية حديثة، ومصالحة التراث مع منجزات الفن العالمي، قبل أن تنخرط بصورة أوسع في الخطاب المفاهيمي والنقدي لذلك، فإن الانتقال إلى المعاصر في العالم العربي لم يكن مجرد تبنّ لاتجاهات فنية جديدة، بل كان استجابة لأسئلة الهوية والذاكرة والسلطة والتحولات المجتمعية.

ومن ثم فإن إشكالية المفهوم والتصنيف تتعقد في السياق العربي أكثر من نظيرتها الغربية، لأن الحديث والمعاصر لا يفصل بينهما خط تطوري واضح، بل يتداخلان ضمن سياق ثقافي يسعى في آن واحد إلى

التحديث والحفاظ على الخصوصية وهكذا يصبح الفن المعاصر مجالاً للتفاوض بين المرجعية المحلية والخطاب الكوني وبين الجمالي والمفاهيمي.

ويتضح من خلال هذا المسار التحليلي إن الانتقال من الفن الحديث إلى الفن المعاصر لا يمكن اختزاله في تعاقب زمني بسيط، بل هو تحول عميق في بنية الوعي الجمالي ذاته، فقد تأسس الفن الحديث على مبدأ استقلالية العمل الفني، بوصفه كياناً جمالياً يسعى إلى بناء لغته الخاصة وتحقيق اكتماله الداخلي في حين أعاد الفن المعاصر تعريف ماهية الفن باعتباره ممارسة فكرية وخطاباً مفتوحاً يرتبط بالسياق الثقافي والاجتماعي، ويتفاعل مع قضايا الهوية والمعنى والمؤسسة كما إن إشكالية المفهوم والتصنيف تتعزز بفعل اختلاف السياقات؛ ففي التجربة الغربية جاء التحول نتيجة مراجعة داخلية لمشروع الحداثة، بينما في السياق العربي تداخلت مسارات التحديث مع أسئلة الهوية والمرجعية، مما جعل الحدود بين الحديث والمعاصر أكثر سيولة وتعقيداً، ومن ثم، فإن التمييز بينهما لا ينبغي أن يفهم باعتباره فاصلاً تاريخياً صارماً، بل باعتباره تحولاً ابتسمولوجياً في فهم الفن ووظيفته داخل المجتمع.

وعليه فإن دراسة هذا التحول لا تسهم فقط في ضبط المصطلح بل تفتح أفقاً أوسع لإعادة التفكير في موقع الفن المعاصر اليوم بوصفه مجالاً لإنتاج المعني، ومنصة للحوار الثقافي وفضاء نقدياً يعكس تحولات الإنسان المعاصر وأسئلته الوجودية والاجتماعية.

خصائص الفنون التشكيلية المعاصرة من منظور نظري

تتميز الفنون التشكيلية المعاصرة بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن الفن الحديث والفترات السابقة ويمكن تناولها من منظور نظري كما يلي:

- **مركزية الفكرة والمفهوم:** تعتبر الفكرة والمفهوم العنصر الأهم في العمل الفني المعاصر، حيث يصبح الهدف الرئيسي للفنان التعبير عن رؤيته الفكرية والثقافية وليس مجرد إبراز الجماليات الشكلية أو التقنية، وهذا يعكس تحول الفن من الشكل إلى الرسالة والمضمون (Danto, 1997).
- **تعددية الأساليب والاتجاهات:** لا يخضع الفن المعاصر لأسلوب محدد أو تيار واحد، بل يستوعب تعدد الرؤى والتقنيات والأساليب، مما يعكس تنوع السياقات الفكرية والاجتماعية والثقافية (Archer, 2014).
- **الانفتاح على التأويل والتلقي:** يتميز العمل الفني المعاصر بكونه مفتوحاً على التفسير، إذ يترك مساحة للمتلقي للتفاعل مع العمل وإعادة بناء المعنى وفق سياقه الشخصي والثقافي، يعكس الفن التقليدي الذي يركز على الرؤية الفنية للفنان فقط (Gombrich, 2006).
- **تجاوز القواعد التقليدية:** تبتعد الفنون التشكيلية المعاصرة عن المعايير الجمالية التقليدية مثل التناسب والتناظر والواقعية الدقيقة لتتجه نحو التجريب والتجديد في الشكل والمادة والوسائط المستخدمة (مصطفى، 2012).
- **العلاقة بالقضايا الإنسانية والاجتماعية:** يرتبط الفن المعاصر بالقضايا الإنسانية والفكرية والثقافية، ويعكس تحولات المجتمع وإتمام الإنسان بالهوية والحرية والتغيير، ما يجعله خطاباً بصرياً متفاعلاً مع الواقع (عبد الحميد، 2005).
- **الطابع الديناميكي والمتجدد:** يتسم الفن المعاصر بكونه ديناميكياً ومتجدداً باستمرار، إذ يتيح المجال للتجريب المستمر والتفاعل مع الاتجاهات الفكرية الحديثة والتكيف مع التحولات الثقافية والاجتماعية.

الجذور الفلسفية والجمالية للفن المعاصر

أولاً- الجذور الفلسفية للفن المعاصر

الفن المعاصر هو امتداد للفن الحديث لكنه يتميز بتفكيك الأنماط التقليدية والتركيز على التجربة الفردية والمفهومية. الجذور الفلسفية له تعتمد على تيارات فلسفية وفكرية عدة منها:

1- الفلسفة الوجودية (Existentialism)

- **مؤسسها:** جان بول (Jean Paul) ومارتن هايدغر (Martin Heidegger)

تركز على الحرية الفردية، التجربة الذاتية، والبحث عن المعنى وتأثيرها في الفن المعاصر، تشجيع الفنان على التعبير عن الذات بطريقة حرة وغير ملتزمة بالقوالب التقليدية.

تقوم الفلسفة الوجودية على محورين أساسيين:

1- الحرية والاختيار: حسب جان بول سارتر، الإنسان مسؤول عن خلق معناه في عالم لا يوفر إرشادات جاهزة.
2- القلق والاغتراب: حسب مارتن هايدغر، الفرد يواجه العدم ويعيش حالة قلق مستمر تجاه ذاته وعلاقته بالعالم.

هذه المفاهيم يمكن ترجمتها إلى لغة بصرية عبر السيمولوجيا أي قراءة عناصر العمل الفني كدوال تنتج مدلولات وجودية.

ثانياً- العناصر السيمولوجية الوجودية في الفن

المدلول (معنى وجودي)	الدال "الشكل"
قلق، اغتراب، هشاشة الكينونة	شكل جسدي غير مكتمل
العدم، العزلة، الصمت، الوجودي	مساحات فارغة داخل التكوين
توتر داخلي، صراع وجودي، عبث الحياة	ألوان قاتمة أو متضادة
فقدان اليقين، اللا انسجام، أزمة المعنى	اختلال التوازن أو تفكك العناصر

ثالثاً- التطبيق الإجرائي داخل العمل الفني

1- تحليل الجسد والفراغ

- دراسة الجسد في اللوحة أو التكوين.
- العلاقة بين الكتل والفراغ تكشف عن مستوى القلق أو العزلة.

2- قراءة اللون

- التركيز على تأثير الألوان على المشهد الدلالي.
- الألوان الداكنة أو التناقضات الحادة تولد دلالات وجودية محددة.

3- كشف البنية العميقة

- فهم العلاقات بين العناصر الظاهرة (تماثل، تضاد، اختلال).
- هذه العلاقات تكشف على البنية السيميولوجية للوجودية داخل العمل.

يمثل العمل الفني في المنظور الوجودي نظاماً سيميولوجياً، حيث تتحول التجربة الإنسانية إلى شبكة دلالات بصرية. فالجسد المعزول، الفراغ الممتد، والألوان المتضادة لا تعمل كعناصر تجريدية فحسب بل كدوال تنتج مدلولات القلق، العبث والحرية الفردية، مما يجعل العمل الفني خطاباً بصرياً يعكس مأزق الكينونة ووعي الفنان بالوجود.

ومن هنا تستنتج النصر البصري: ما يراه المتلقي على اللوحة أو التكوين.

- الدال والمدلول: تحويل الشكل إلى معنى وجودي عبر السيميولوجيا.

- الخطاب البصري: النتيجة النهائية، حيث يصبح العمل الفني نصاً بصرياً يعكس القلق، الحرية، العبث والاغتراب.

2- البنيوية وما بعد البنيوية (Post Structuralism Structuralism)

ترتكز البنيوية على أفكار فرديناند دى سويسر في اللسانيات خاصة مفهوم العلاقة بين الدال والمدلول، ثم تطورت في النقد مع رولان بارت (Roland Barthes)، وفي الانثروبولوجيا مع كلود ليفي شتراوس تقوم البنيوية على أن المعنى لا ينبع من العناصر منفردة، بل من شبكة العلاقات التي تربط بينها داخل بنية كلية.

التحويل الإجرائي للبنيوية داخل العمل الفني

1- العمل الفني كبنية مغلقة

ينظر إلى العمل بوصفه نظاماً من العلاقات الداخلية (خط، لون، شكل، فراغ، إيقاع).

المعنى هنا لا يستمد من نوايا الفنان أو السياق الخارجي، بل من تنظيم العناصر داخل النسق التشكيلي نفسه.

إجرائياً

- تحليل العلاقات بين العناصر (تضاد، تماثل، تكرار، توازن).
- تحديد البنية العميقة خلف التكوين الظاهري.

2- العلاقة بين الدال والمدلول بصرياً

في ضوء أطروحة سوسير، يمكن قراءة العناصر البصرية كـ"دوال" تشير إلى مدلولات محتملة.

إجرائياً داخل اللوحة

- اللون الأحمر = دال لكنه يكتسب مدلوله عبر علاقته ببقية الألوان.
- الخطوط الحادة مقابل المنحنية تخلق تضاداً دلالياً.

المعنى إذن لا يكون مباشراً، بل ناتجاً عن شبكة العلاقات.

3- البنية العميقة والبنية السطحية

وفق تصور ليفي شتراوس يمكن التمييز بين:

- البنية السطحة: الشكل الظاهر.
- البنية العميقة: النظام المنظم للعلاقات (ثنائيات حضور، غياب، مركز، هامش).

إجرائياً

- الكشف عن الثنائيات الضمنية داخل العمل.
- تحليل توزيع الكتل والعلاقات المكانية.

4- استقلال النص البصري

في منظور (رولان بارت) يصبح العمل الفني نصاً بصرياً مستقلاً.

إجرائياً

- التركيز على قراءة العلامات داخل العمل.
- إقصاء المرجع الخارجي مؤقتاً لصالح تحليل داخلي.

ثالثاً- مثال تطبيقي مختصر

لو أخذنا لوحة تجريبية تعتمد على تكرار مربعات بألوان متضادة.

- البنية = نظام هندسي منظم.
- العلاقات = تضاد لوني (فاتح/داكن).
- المعنى = يتولد من التوتر بين التماثل والاختلاف.

هنا البنيوية لا تبحث "ماذا أراد الفنان؟" بل تسأل "كيف ينتج النسق البصري دلالته؟"

3- الفلسفة الجمالية (Aesthetics) الحديثة

- أفكار إيمانويل كانط (Immanuel Kant) حول التقدير الجمالي حكم حر مستقل عن المنفعة.
- أرثر دانتو (Arthur Danto) الذي رأى أن الفن الحديث والمعاصر يعبر عن فكرة أكثر كونه مجرد شكل جمالي.

وأثرها قبول الأعمال الفنية المفاهيمية والتجريبية التي قد تبتعد عن الجمال التقليدي.

4- النظرية النقدية (Critial Theory)

- مدرسة فرانكفورت (Adorno, Horkheimer)
- تحليل الفن من منظور اجتماعي وسياسي وربط الفن بالقضايا الإنسانية والثقافية.

الجذور الجمالية للفن المعاصر

الجمال في الفن المعاصر لم يعد محصوراً في القواعد الكلاسيكية (التناسب، التوازن، الانسجام) بل أصبح:

1- **الفن التعبيري (Expressionism):** التركيز على الانفعالات، المشاعر، والأحاسيس الفردية، والفنان المعاصر يستخدم اللون، الشكل، والخط لنقل تجربة ذاتية أو عاطفية.
2- **الفن التجريدي (Abstraction):** إزالة العناصر الواقعية والتركيز على الأشكال واللون والخطوط، الهدف إثارة التفكير أو الإحساس بدلاً من مجرد التقليد الواقعي للطبيعة.
3- **الفن المفاهيمي (Conceptual):** القيمة ليست في الشكل أو الجمال بل في الفكرة وراء العمل، مثل أعمال مارسل دوشامب (Marcel Duchamp) وما بعده من الفنانين المعاصرين.
4- **تعدد الوسائط (Art Multimedia & Inter Disciplinary):** دمج مواد وأساليب مختلفة: الرسم، الفيديو، النحت، الأداء. ويساهم في توسيع فهم الجمال والفن بعيداً عن التقليدية.

- خصائص الفن المعاصر المستمدة من الجذور الفلسفية والجمالية، حرية التعبير الفردي والابتعاد عن القوالب التقليدية، اهتمام بالرمز والخطاب الاجتماعي والثقافي، التركيز على الفكرة والمعنى بدل الشكل الجمالي وحده، تنوع الوسائط والأساليب والتقنيات، والقدرة على إثارة التساؤل والنقد والتفكير لدى المتلقي.

دور الحداثة وما بعد الحداثة في التنظير الفني

أولاً- دور الحداثة في التنظير الفني

الحداثة في الفن ارتبطت بالتحولات الفكرية والعلمية والاجتماعية التي شهدها العالم منذ أواخر القرن التاسع عشر، وهدفت إلى القطيعة مع التقاليد الكلاسيكية والبحث عن صيغ تعبيرية جديدة تعكس روح العصر الصناعي والعقلاني.

كما ساهمت الحداثة في بناء نظريات فنية جديدة من خلال التأكيد على الاستقلال الذاتي للفن (Art For Art's Sake) والتركيز على الشكل والبنية بدلاً من الموضوع السردي واعتماد التجريب والابتكار كقيمة جمالية وظهور مدارس فنية منظرة لذاتها مثل: التكعيبية، التعبيرية، التجريدية، وأثر الحداثة على الخطاب النقدي ونشوء النقد التشكيلي (Formalism) كما عند كليمنت غرينبرغ.

التعامل مع العمل الفني بوصفه كياناً مغلقاً له قوانينه الداخلية وتعزيز مفهوم الفنان بوصفه ذاتاً مبدعة مستقلة.

ثانياً- دور ما بعد الحداثة في التنظير الفني

ما بعد الحداثة ظهرت كرد فعل نقدي على يقينات الحداثة، وشككت في فكرة الحقيقة المطلقة والأسلوب الواحد واتجهت نحو التعدد والاختلاف والمحبة وأسهمت ما بعد الحداثة في إعادة صياغة النظرية الفنية من خلال رفض فكرة أسلوب النفي أو الاتجاه الواحد وكسر الحدود بين الفن الراقي والثقافة الشعبية واعتماد التناص، والمحاكاة السافرة، والاقتباس وبروز مفاهيم مثل التفكيك والهوية والجند والسلطة والخطاب أثر ما بعد الحداثة على النقد الفني، الانتقاد من النقد الشكلي إلى النقد الثقافي والتفكيكي، واعتبار العمل الفني نصاً مفتوحاً متعدد القراءات وتراجع مركزية الفنان الصالح المتلقي والسياقي الاجتماعي.

ثالثاً- أهمية الحداثة وما بعدها في تطور النظرية الفنية

أسهمت في تحرير الفن والقوالب الثابتة، ووسعت أفق التحليل النقدي والجمالي ومهدت لظهور الفن المعاصر بمفاهيمه المتعددة (الفن المفاهيمي فن الأداء والوسائط الجديدة).

التحول في مفهوم الشكل والمضمون في الفكر الفني

شكّل مفهوم الشكل والمضمون محوراً أساسياً في التنظير الجمالي والفني عبر مختلف الحقب التاريخية، إذ ارتبط تقييم العمل الفني طويلاً بمدى الانسجام بين بنيته الشكلية ومحتواه الدلالي، غير أن التحولات الفكرية والفلسفية التي شهدها العالم لاسيما مع بروز الحداثة ثم ما بعد الحداثة، أدّت إلى إعادة النظر في هذه الثنائية وإلى تحول عميق في طبيعة العلاقة بين الشكل والمضمون داخل العمل الفني.

أولاً- مفهوم الشكل والمضمون في الفكر الجمالي التقليدي

في الفكر الكلاسيكي، ارتبط الشكل بالمظهر الخارجي والتنظيم البنائي للعمل الفني، بينما ارتبط المضمون بالفكرة أو المعنى أو الموضوع الذي يسعى العمل إلى تجسيده، وقد أكدت الفلسفة اليونانية، لاسيما عند أفلاطون وأرسطو على مركزية المضمون بوصفه جوهر العمل، في حين اعتبر الشكل أداة لنقل هذا الجوهر في صورة حسية متوازنة ومنسجمة. وساد الاعتقاد بأن القيمة الجمالية للعمل الفني تتحقق من خلال التوافق بين جمال الشكل وسمو المضمون، حيث لا يتصور أحدهما بمعزل عن الآخر.

ثانياً- التحول في العلاقة بين الشكل والمضمون في الحداثة

مع بروز الحداثة حدث تحول جذري في النظرة إلى العمل الفني تمثل في إعادة الاعتبار للشكل بوصفه قيمة جمالية مستقلة، فقد سعت الاتجاهات الحداثية إلى التحرر من سلطة الموضوع والسرد، وركزت على الخصائص الشكلية الخالصة مثل الخط واللون والإيقاع والتكوين، وقد أسهم هذا التحول في:

- فصل الشكل على الوظيفة التمثيلية، واعتبار العمل الفني بنية ذاتية مغلقة، وتراجع المضمون السردي لصالح التجريب الشكلي، هذا التوجه حيث ربطت القيمة الفنية بمدى نقاء الشكل وخصوصية الوسيط الفني.

ثالثاً- تفكيك ثنائية الشكل والمضمون فيما بعد الحداثة

مع تحولات ما بعد الحداثة، لم تعد ثنائية الشكل والمضمون تفهم بوصفها علاقة تكامل أو جدل متوازن، بل أصبحت موضع مساءلة وتفكيك، فقد سعت التيارات النقدية المعاصرة إلى زعزعة الفكرة التقليدية التي تفترض وجود مضمون ثابت يتجسد في شكل محدد أو شكل مستقل يمكن فصله عن دلالته.

يرتبط هذا التحول بفكر التفكيك عند (جاك دريدا) الذي رفض مركزية المعنى وأكد أن الدلالة ليست جوهراً مستقراً خلف البنية، بل أثراً يتولد داخل شبكة لا نهائية من الاختلافات ووفق هذا التصور، لا يعود المضمون سابقاً على شكل، ولا شكل وعاء للمضمون، بل كلاهما يدخل في لعبة الاختلاف والتأجيل المستمر للمعنى.

في سياق الفن، تجل ذلك بوضوح في الأعمال المفاهيمية التقليدية، ولم يعد المضمون خطاباً مباشراً، بل أصبح العمل الفني بنية مفتوحة على تعدد القراءات، إن ما بعد الحداثة أزاحت فكرة "الوحدة العضوية" بين الشكل والمضمون، واستبدلتها بفكرة التناص والتشظي وإعادة التركيب، كما أن الطرح الذي قدمه (جان فرانسوا اليوتار) حول سقوط "السرديات الكبرى" انعكس على الفن؛ إذ لم يعد المضمون يحمل رسالة كلية أو حقيقية شاملة، بل أصبح خطاباً جزئياً متشظياً يتشكل عبر استراتيجيات بصرية تتلاعب بالمرجعيات والأساليب. وهنا يغدو الشكل نفسه ممارسة نقدية، يكشف عن هشاشة المعنى بدل أن يثبته.

وعليه، فإن تفكيك ثنائية الشكل والمضمون في ما بعد الحداثة لا يعني إلغاء إحداهما، بل يعني نزع الحدود الصارمة بينهما. فالعمل الفني يتحول إلى فضاء تداولي تتداخل فيه البنية البصرية مع الخطاب الثقافي، ويتحول الشكل إلى إنتاج للمعنى، بينما يغدو المضمون أثراً يتشكل داخل الفعل البصري ذاته، بذلك يصبح الفن مجالاً للانزياح والتعدد، لا بحثاً عن تطابق بين الفكرة وتجسيدها، بل مساءلة مستمرة لآليات إنتاج المعنى.

رابعاً- الشكل والمضمون في ممارسات الفن المعاصر

في الفن المعاصر، بلغ هذا التحول ذروته، حيث لم يعد الالتزام بالشكل الجمالي شرطاً أساسياً، بل غدا المفهوم هو المحرك الرئيسي للعمل الفني، وقد يتخذ الشكل صيغاً غير تقليدية أو يكون مؤقتاً أو غير مادي، في حين يرتبط المضمون بقضايا معاصرة مثل الهوية، الجسد، الذاكرة، والسلطة.

وأصبح المتلقي شريكاً في إنتاج المعنى، لا مجرد متلقٍ سلبي مما يعكس تحولاً في وظيفة العمل الفني من الجمال البصري إلى الخطاب الفكري والنقدي.

خامساً- دلالات التحول في مفهوم الشكل والمضمون

يكشف هذا التحول عن انتقال الفن من التمثيل إلى المفهوم، وتجاوز النظرة الجمالية التقليدية نحو مقاربات نقدية وثقافية، وتوسيع أفق التلقي والتأويل، ارتباط الفن بالتحولات الفكرية والاجتماعية المعاصرة.

يتضح أن التحول في مفهوم الشكل والمضمون لم يكن مجرد تغيير شكلي في الممارسة الفنية بل يعكس تحولات عميقة في الفكر الجمالي والفلسفي. فقد انتقل العمل الفني من وحدة متجانسة بين الشكل والمعنى إلى فضاء مفتوح تتداخل فيه البنية البصرية مع الدلالة والسياق، الأمر الذي أسهم في إعادة تعريف وظيفة الفن ودوره في التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر.

دور الفكرة في العمل الفني المعاصر

أصبح العمل الفني المعاصر قائماً أساساً على الفكرة بوصفها جوهر العملية الإبداعية، بعد أن تراجع التركيز على المهارة التقنية والجماليات الشكلية التي ميزت الفنون التقليدية. فالفكرة تسبق التنفيذ وتوجه اختيار الشكل والخامة والتقنية، مما يجعل العمل الفني خطاباً فكرياً يحمل دلالات ثقافية وإنسانية متعددة.

وقد أسهم هذا التحول في انتقال الفن من الاهتمام بالشكل إلى التركيز على المفهوم والمعنى، خاصة مع ظهور اتجاهات مثل الفن المفاهيمي، الذي يؤكد أن قيمة العمل الفني تكمن في محتواه الذهني أكثر من مظهره البصري للمتعة الجمالية.

كما تؤدي الفكرة في الفن المعاصر دوراً نقدياً، إذ تستخدم لمساءلة الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وطرح قضايا الهوية والوجود والذاكرة، ويغدو المتلقي شريكاً في بناء المعنى من خلال التأويل، مما يضفي على العمل طابعاً حوارياً مفتوحاً على تعدد القراءات. وفي هذا الإطار، تخضع الخامة والتقنية للفكرة، حيث يوظف الفنان وسائط وأساليب غير تقليدية بما يخدم المعنى المقصود وقد أسهم ذلك في توسيع مفهوم العمل الفني ليشمل التجربة والسياق، وليس الشكل النهائي فقط.

مفهوم الخطاب البصري

يشير الخطاب البصري إلى منظومة من الرموز والعلامات والصور التي تنتج معنى وتتواصل مع المتلقي عبر الرؤية ضمن سياق ثقافي واجتماعي محدد ولا يقتصر الخطاب البصري على الجانب الجمالي للصورة، بل يتجاوزها ليشمل الأبعاد الدلالية والفكرية والإيديولوجية الكامنة فيها.

ويُعد الخطاب البصري شكلاً من أشكال الخطاب الثقافي، حيث تعمل العناصر التشكيلية مثل اللون، الشكل، التكوين، الفراغ بوصفها أدوات تعبير تحمل رسائل ومعان قابلة للتأويل، وتختلف دلالات هذا الخطاب تبعاً لخلفية المتلقي ومعرفته وسياق تلقيه للعمل البصري.

وفي الفنون المعاصرة، اكتسب الخطاب البصري أهمية خاصة بوصفه وسيلة لنقل الأفكار ومساءلة الواقع، إذ أصبح العمل الفني نصاً بصرياً مفتوحاً يتيح تعدد القراءات، ويحول المتلقي من مشاهد سلبي إلى مشارك في إنتاج المعنى. وبذلك يمثل الخطاب البصري آلية تواصل فنية وثقافية، تقوم على بناء المعنى من خلال الصورة، وتربط بين الشكل والمضمون في إطار من التفاعل بين الفنان والعمل المتلقي.

الرمزية والدلالة في التعبير الشكلي المعاصر

تُعد الرمزية من أهم مداخل التعبير في الفن التشكيلي المعاصر، حيث لم يعد الشكل الفني وسيلة للتمثيل المباشر بل أصبح حقلاً دلالياً مفتوحاً يعتمد على الإيحاء والتأويل، فالرمز في التعبير الشكلي المعاصر يتجاوز المعنى الثابت لينتج دلالات متعددة تتغير بتغير السياق الثقافي والفكري وتجربة المتلقي ويستند التوجيه إلى التحولات الفلسفية والجمالية التي شهدها الفكر المعاصر، خاصة مع صعود السيميولوجيا والبنيوية وما بعد البنيوية، إذ أضحى الشكل الفني علامة بصرية تحمل معنى غير مكتمل، يعاد إنتاجه من خلال التلقي، كما أسهمت النزعة التجريدية وتحرر الشكل من الوظيفة التمثيلية في تعزيز البعد الرمزي، حيث تحول اللون والخط والكتلة والفراغ إلى عناصر دلالية قائمة بذاتها.

وتتجلى الدلالة في التعبير الشكلي المعاصر عبر آليات بصرية متعددة، مثل تفكيك الشكل، توظيف الخامة، والتلاعب بالبنية التركيبية، مما يجعل العمل الفني خطاباً بصرياً يعكس قضايا الإنسان المعاصر النفسية والوجودية والاجتماعية وبذلك لم تعد الرمزية مجرد أسلوب تعبيري، بل أصبحت منهجاً فكرياً يربط بين الشكل والمضمون في إطار تأويلي مفتوح.

العلاقة بين المتلقي والعمل الفني في المنظور النظري

تعد العلاقة بين المتلقي والعمل الفني من القضايا المركزية في النظرية الجمالية المعاصرة، إذ لم يعد العمل الفني كياناً مغلقاً يحمل معنى ثابتاً، بل أصبح بنية مفتوحة تتعدد دلالاتها بتعدد المتلقين وخلفياتهم الثقافية والمعرفية ووفق هذا المنظور، يتحقق المعنى الجمالي من خلال التفاعل الحي بين العمل الفني والمتلقي، وليس من خلال العمل وحده أو نية الفنان فقط.

تشير نظرية التلقي (Reception Thory) إلى أن المتلقي يؤدي دوراً فاعلاً في إنتاج المعنى، حيث تسهم خبراته السابقة وذائقته الجمالية وسياقه الثقافي في تأويل العمل الفني، ويؤكد (هانس روبرت ياوس) أن الأثر الفني لا يكتمل إلا عبر أفق انتظار المتلقي، الذي يحدد كيفية استقباله وفهمه للعمل، كما يرى (فولغانغ إيزر) أن النص أو العمل الفني يحتوي على فراغات دلالية لا تملأ إلا عبر فعل التلقي أو التأويل.

وفي إطار الفن المعاصر، ازدادت أهمية المتلقي بوصفه شريكاً في التجربة الفنية، خاصة في الأعمال المفاهيمية والتفاعلية، حيث يصبح التلقي ممارسة فكرية وحسية في آن واحد وبهذا يتحول العمل الفني إلى خطاب بصري مفتوح، يتجدد مع كل مركزية الشكل ومركزية المعنى والتجربة.

التقنية كشريك إبداعي وتحول موقع المتلقي في الفن المعاصر

شهد الفن المعاصر تحولاً جوهرياً في مفهوم التقنية، إذ لم تعد مجرد أداة تنفيذية تخضع لهيمنة الفكرة أو الشكل، بل غدت عنصراً بنيوياً فاعلاً في إنتاج العمل الفني ذاته، فالتقنية اليوم –خاصة الرقمية منها- تسهم في تشكيل البنية الدلالية للعمل، وتحدد أنماط ظهوره وإدراكه، مما يجعلها شريكاً إبداعياً لا وسيطاً محايداً، وقد أدى هذا التحول إلى إعادة تعريف العلاقة بين الفنان والمادة، حيث لم يعد الفنان متحكماً مطلقاً في النتيجة النهائية، بل أصبح يعمل ضمن أنظمة تقنية قد تولد احتمالات جمالية غير متوقعة.

يتجلى ذلك بوضوح في الفن الرقمي، حيث تقوم الخوارزميات والبرمجيات بدور أساسي في تكوين الصورة أو التجربة البصرية وفي فن التركيب الذي يعيد تشكيل الفضاء ويحول العرض إلى تجربة حسية شاملة وكذلك في الفيديو الذي يمزج الصورة بالصوت والحركة داخل بنية زمنية متغيرة.

وقد ترتب على هذا التحول تعميق دور المتلقي، إذ لم يعد متلقياً سلبياً يكتفي بالمشاهدة، بل أصبح عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى|. فالأعمال التفاعلية تظل مفتوحة على احتمالات متعددة، ولا يكتمل تحقيقها الجمالي إلا عبر المشاركة الحسية أو التأويل الذهني، وبهذا تنتقل العملية الإبداعية من مركزية الفنان إلى بنية تشاركية تتقاطع فيها التقنية والتلقي في فضاء دلالي مفتوح.

وقد ترتب على هذا التحول تعميق دور المتلقي، إذ لم يعد متلقياً سلبياً يكتفي بالمشاهدة، بل أصبح عنصراً فاعلاً في إنتاج المعنى، فالأعمال التفاعلية تظل مفتوحة على احتمالات متعددة، ولا يكتمل تحققها الجمالي إلا عبر المشاركة الحسية أو التأويل الذهني، وبهذا تنتقل العملية الإبداعية من مركزية الفنان إلى بنية تشاركية تتقاطع فيها التقنية والفكرة والتلقي في فضاء دلالي مفتوح.

إن هذا التحول يعكس انتقال الفن في كونية كياناً جمالياً مغلقاً إلى خطاب بصري منفتح، تتعدد فيه مسارات القراءة، ويغدو فيه المعنى نتاج تفاعل مستمر بين العمل وسياقه الثقافي والمتلقي بوصفه ذاتاً مؤولة.

إشكالية التلقي والتأويل

تُعد إشكالية التلقي والتأويل من أبرز القضايا النقدية في الفكر الجمالي المعاصر، إذ تنتقل بالاهتمام من أبرز القضايا النقدية في الفكر الجمالي المعاصر، إذ تنتقل بالاهتمام من العمل الفني بوصفه بنية مغلقة إلى (العلاقة التفاعلية) بين العمل والمتلقي، فالمعنى لم يعد معطًى ثابتاً داخل النص أو العمل الفني، بل يبنى من خلال فعل التلقي، بما يحمله المتلقي من خبرات ثقافية ومعرفية ونفسية.

تكمن الإشكالية في التوتر القائم بين قصدية المبدع وحرية المتلقي في التأويل، فهل المعنى رهين نية الفنان أم أنه نتاج قراءة المتلقي؟ هذا السؤال يفتح المجال لتعدد التأويلات، ويجعل العمل الفني فضاءً دلالياً مفتوحاً، خصوصاً في الفن المعاصر الذي يعتمد على الرمز والتجريد، وكسر القواعد الشكلية ويؤكد منظر وجمالية التلقي، أن المتلقي شريك في إنتاج المعنى، وليس عنصراً سلبياً، حيث تتشكل الدلالة في لحظة التفاعل بين النص، العمل وسياق التلقي، إلا أن هذا الانفتاح التأويلي يثير إشكالية أخرى تتعلق بحدود التأويل، وما إذا كانت جميع القراءات مشروعة أم أن هناك ضوابط جمالية وثقافية تحكم الفهم.

وعليه، فإن إشكالية التلقي والتأويل تكشف عن تحول جوهري في فهم العمل الفني، من كونه خطاباً أحادي المعنى إلى كونه خطاباً بصرياً متعدد الدلالات، يتجدد مع كل تجربة تلقي.

تحول المعايير الجمالية في الفن المعاصر من الشكل إلى الفكرة والخطابة

شهدت الجماليات في الفن المعاصر تحولاً واضحاً مقارنة بالفن الكلاسيكي والفن الحديث، فبينما كانت الجماليات التقليدية تركز على مثالية الشكل والتناغم البصري كمعيار رئيسي لتقييم العمل الفني، أصبح التركيز في المعاصر على قوة الفكرة، وفاعلية الخطاب البصري، وإمكانية التفاعل مع المتلقي.

يشير شاكر (2001) إلى أن العمل الفني المعاصر لم يعد يقاس بجمالية الشكل وحده، بل بمدى قدرته على إحداث تجربة معرفية حسية لدى المتلقي، وهذا التحول يعكس أثر الحداثة وما بعد الحداثة، حيث تراجع معيار الكمال الشكلي لصالح البنية الدلالية المفتوحة التي تسمح بتعدد التأويلات (إيكو، 2010؛ بارت (2002).

كما ساعدت التقنيات الحديثة على تعزيز هذا التحول، إذ لم تعد الوسائط التقنية مجرد أدوات تنفيذ، بل أصبحت شريكاً إبداعياً يساهم في إنتاج المعنى، في الفن الرقمي وفن التركيب وفن الفيديو التفاعلي، يتداخل الشكل مع الفكرة والخطاب بحيث يظل العمل ناقصاً بدون مشاركة المتلقي (عبد الرحمن، 2015؛ الزواوي، 2018) هنا يصبح المعنى ناتجاً عن تفاعل ثلاثي: الفنان + التقنية + المتلقي، وليس مجرد امتثال لمعايير الشكل المثالي.

(وفقاً لـ(بنيامين، 2003؛ وبوربود، 2002) يمكن رؤية هذا التحول كتحول من "جمالية الصورة الثابتة"، إلى "جمالية التفاعل والخطاب" حيث لا يمكن الإبداع في الشكل وحده، بل في قدرة العمل على إثارة الفكر، والتأثير العاطفي، وإشراك المتلقي في عملية التأويل.

وبذلك أصبح الفن المعاصر خطاباً بصرياً ديناميكياً، يتجاوز حدود الشكل الكلاسيكي، ويؤكد على قوة الفكرة والخطابة كأساس للجمال والتأثير، مع إعطاء التقنية والمتلقي دوراً فاعلاً في بناء التجربة الجمالية الكاملة.

دور التقنية والوسائط الحديثة في الفن المعاصر

شهد الفن المعاصر تحولاً كبيراً نتيجة التطور التكنولوجي، حيث أصبحت التقنية أداة رئيسية للتعبير الفني، استخدم الفنانون الوسائط الرقمية، الواقع الافتراضي، والذكاء الاصطناعي لإنتاج أعمال تفاعلية غنية بصرياً، تتجاوز حدود اللوحة أو التمثال التقليدي، كما ساعدت هذه الوسائط على تعزيز التواصل مع المتلقي، وجعلت التجربة الفنية أكثر مشاركة وانغماساً وبالتالي، لم تغير التقنية شكل العمل الفني فقط، بل أثرت أيضاً في طبيعة الإبداع وتجربة المشاهدة لتصبح جزءاً أساسياً من العملية الفنية المعاصرة.

يمكن القول أن التقنية والوسائط الحديثة في الفن المعاصر لم تعد مجرد أدوات، بل أصبحت شريكاً في عملية الإبداع الفني هذه الأدوات لم تغير الشكل الخارجي للعمل فحسب، بل أثرت في تجربة المتلقي، طبيعة المادة، وأساليب التفكير الفني، مما يجعل الفن المعاصر أكثر تنوعاً وغنًى بالتجارب الحسية.

النتائج

1- أظهرت الدراسة أن الفن التشكيلي المعاصر لم يعد قائماً على الجماليات الشكلية فقط، بل أصبح يعتمد بدرجة أساسية على الفكرة والمضمون بوصفها عنصرين محوريين في بناء العمل الفني.
2- تبين أن الخطاب البصري في الفن المعاصر يحمل أبعاداً دلالية ورمزية متعددة، تسهم في إنتاج معان مفتوحة تختلف باختلاف المتلقي وخلفيته الثقافية.
3- كشفت النتائج أن التحولات الفلسفية والجمالية (الحداثة وما بعد الحداثة) كان لها دور مباشر في إعادة تعريف مفاهيم الشكل، والمواد، والتقنيات المستخدمة في العمل الفني.
4- أكدت الدراسة أن التلقي والتأويل يمثلا جزءاً أساسياً من اكتمال العمل الفني المعاصر، حيث لم يعد المتلقي عنصراً سلبياً بل شريكاً في إنتاج المعنى.
5- أظهرت النتائج أن التقنيات والوسائط الحديثة أسهمت في توسيع آفاق التعبير الفني وكسرت الحدود التقليدية للفنون التشكيلية.
6- يجب التأكيد على أن العمل المعاصر بنية فكرية مفتوحة تتجاوز القواعد التقليدية لصالح قضايا الإنسان.

التوصيات

1- توصي الباحثة ضرورة تعزيز الدراسات النظرية التي تعالج مفاهيم الخطاب البصري والدلالة في الفن التشكيلي المعاصر، لما لها من أهمية في فهم العمل الفني.
2- تشجيع الباحثين على الربط بين الفلسفة والفن المعاصر لفهم التحولات الجمالية والفكرية التي طرأت على الممارسة الفنية.
3- إدراج مفاهيم التلقي والتأويل ضمن مناهج التعليم الفني لتنمية الوعي النقدي والبصري لدى الطلبة.
4- الاهتمام بتوثيق وتحليل التجارب الفنية المعاصرة العربية في إطار نظري وأكاديمي يعكس خصوصيتها الثقافية.
5- الدعوة إلى مواكبة التطورات التقنية والوسائط الجديدة في البحث الفني بوصفها أدوات فاعلة في إنتاج المعنى البصري.
6- ضرورة ربط الفلسفة بالممارسة الفنية وتوثيق التجارب العربية المعاصرة أكاديمياً.

المراجع

1. أبو حطب فؤاد. (2002). الإبداع المفهوم والقياس والتطبيق. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
2. أبوزيد، نصر حامد. (د. ت). إشكاليات القراءة وآليات التأويل: المركز الثقافي العربي.
3. إيزر، فولفغانغ. (د.ت). فعل القراءة: نظرية جمالية للمتلقي. ترجمة: عبد الوهاب علوب: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. الزواوي، الطاهر. (2018). تحولات للخطاب البصري في الفن المعاصر. طرابلس: جامعة طرابلس.
5. الزيات، فتحي مصطفى. (2014). الابداع والتفكير الابداعي في التعليم. القاهرة: دار الناشر للجامعات.
6. المسدي، عبد السلام. (د.ت). الأسلوبية والأسلوب. بيروت: الدار العربية للكتاب.
7. العساف، عبد الله. (2015). الفن التشكيلي المعاصر. المفهوم والتحولات: دار المسيرة.
8. بارت، رولان. (د.ت). لذة النص. ترجمة: منذر عياش. سوريا: دار الحق.
9. بركات، عزت. (د.ت). الحداثة وما بعد الحداثة. الكويت: عالم المعرفة.
10. حسين، علي حرب. نقد الحقيق. بيروت: المركز الثقافي العربي.
11. سبيلا محمد. (2006). الحداثة وما بعد الحداثة. دار توبقال.
12. شيرين، شاكر عبد الحميد. (2010). الفن والغرابة. مدخل إلى جماليات الفن المعاصر: عالم المعرفة.
13. عبدالغني، مصطفى. (2012). مدخل إلى الفن الحديث والمعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.
14. شاكر، عبد الحميد. (2001). الفن والقرابة. دراسات في علم الجمال المعاصر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
15. عكاشة، ثروت. (1990). الفن والحضارة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
16. ياوس، هانس روبرت. (د.ت). نظرية التلقي: مدخل إلى علم الجمال التلقي. ترجمة. سعيد بنكراد. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

17. يوسف، أحمد. (2018) الخطاب البصري في الفن التشكيلي المعاصر: دار الفكر.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JIBAS** and/or the editor(s). **JIBAS** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.